

دور المساجد ومنابر الجمعة في الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان، وأصلي وأسلم على خير خلقه، وخاتم أنبيائه ورسوله، أما بعد:

فليس هناك من قول أفضل ولا أحسن من الدعوة إلى الله، لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)، وليس هناك أعظم من رجال يحملون رسالات الله ليبلغوها للناس. وقد اختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم لحمل أعظم دعوة وأنقى وأهدى، وأجمع رسالة وأدوم تنزيل، وأبقى شرعة. واختار أمته لتبليغ أقدس كتاب، وتوضيح أهدى سبيل، وتعليم أنبل غاية وأسمى هدف، وصدق الله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

لهذا وجب على الأمة الإسلامية اليوم أن تسارع إلى حمل هذه الأمانة وتبليغ تلك الرسالة، وأن ترتفع إلى مستواها، وتعلو إلى أفقها. ولقد قام المسجد بالتربية الإسلامية والدعوة في عهود الإسلام الأولى خير قيام فقد كان منبر الرسول صلى الله عليه وسلم منارة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وشملت أحاديثه وخطبه الدعوة إلى الالتزام بتعاليم الإسلام، وكان يستقبل فيه الوفود من غير المسلمين فيرون بأنفسهم ما عليه المسلمون وهذا من أبلغ وسائل الدعوة "دعوة العمل والتطبيق".

وبالنظر الواعية إلى مراحل الدعوة الإسلامية تاريخياً تبين أهمية دور المسجد ورسالته العظيمة في بناء الأمة الإسلامية، فقد ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً، وذلك لأن الإسلام لم يقصر رسالته على أداء الصلوات الخمس فقط، بل تعداه إلى جعله مركز علم وتهذيب ومجلس صلح وقضاء ومحل تشاور المسلمين وملتقى تعاون وتكافل.

(١) سورة فصلت آية: (٢٣).

(٢) سورة يوسف آية: (١٠٨).

المساجد بيوت الله، فيها يعبد وفيها يذكر اسمه، وزواره فيها عمارها، وهي خير بقاع الله في الأرض ومنارات الهدى وأعلام الدين، فكما أنها مجالس للذكر، ومحراب للعبادة، فهي منارات لتعليم العلم ومعرفة قواعد الشرع بل هي أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع الدعوة والعلم والمعرفة في الإسلام!! وفي فضلها وعظم منزلتها وردت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية تبين مكانة المساجد. فقد كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة هو تأسيس مسجده صلى الله عليه وسلم.

منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٣) فالله سبحانه وتعالى - وهو مالك كل شيء - نسب المساجد إليه وشرفها وعظمها بإضافتها إليه، فليست هي لأحد سواه، كما أن العبادة التي كلف الله عباده إياها لا يجوز أن تُصرف لسواه.

وقد مدح الله تعالى الذاكرين الله فيها ووعدهم بحسن جزائه، كما امتدح الذين يحرصون على عمرانها سواء عن طريق بنائها أو تنظيفها، أو صيانتها، أو التردد عليها لعبادة الله فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٤).

وفي الأحاديث النبوية ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للمساجد أوتاداً؛ الملائكة جلسائهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم،

(٣) سورة الجن آية: ١٨.

(٤) سورة التوبة آية: ١٨.

وإن كانوا في حاجة أعانواهم " ثم قال : " جليس المسجد على ثلاث خصال : أخ مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة منتظرة) (٥).

و عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : (المسجد بيت كل تقى) (٦).

وقوله صلى الله عليه وسلم : (أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها) (٧)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) (٨).

✚ المسجد رسالته ودوره

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (١٧٤) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧٥﴾. فما المقصود بالذكر في هذه الآيات؟

إننا نفهم الذكر هنا فهماً أعمق وأعظم من ذلك، ألا وهو السعي من أجل إنفاذ أوامره جل وعلا، وأعمال شرعه، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عند وصوله مهاجراً من مكة إلى المدينة المنورة، حيث كان من أول أعماله فيها إنشاء المسجد ليكون المكان الذي يُدعى فيه إلى الله، وتنفيذ من خلاله أوامره، ويكون محل العبادة والطاعة على كافة المستويات، وقد علمنا بأن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان مقر حكومته؛ فيه يرسل البعث، ويهيئ المجاهدين للغزو، ويقضي بين الناس فيما يختلفون فيه من الحقوق، وفيه يلتقي الوفود، ويعلم الناس الحكمة وأحكام الإسلام، وهذه سنة ثابتة لا يجادل

(٥) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرک، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٥٢) (٣٢٩).

(٦) رواه الطبراني في الكبير والبخاري، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٥٣) (٣٣٠).

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه ابن ماجه والدارمي.

فيها أحد، فإذا كان هذا هو الذكر بمعناه الواسع والشامل والأرقى، فما حكم من يحول دون تأدية المسجد لرسالته ودوره؟

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٩) لقد بين المولى عزّ وجلّ أنه ليس هناك أظلم ممن عمل على تعطيل دور المسجد ومنعه من القيام برسالته ودوره، واعتبر هذا المنع تخريباً للمسجد، فالمساجد بدون دورها ورسالتها أماكن خربة أي غير عامرة مهما كان حال بنائها. إن التعبير عما يستحقه هؤلاء من العذاب بأنه خزيّ في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة، هو دليل على عظيم جرمهم وفضاعة دورهم.

ولقد رأينا بأمر العين معاناة الشعب العراقي جراء انهيار نظامه السياسي والإداري وكيف فقد البلد أهم ثرواته التراثية، ولولا أن المساجد سارعت إلى القيام بدورها في التوجيه والإرشاد لتحول البلد إلى غابة متوحشة. لقد أدرك العراقيون أهمية المسجد من أجل استعادة حرية بلدهم واستقلاله. ونحن على يقين بأن المسجد سيؤدي في حياة الأمة أعظم دور في حفظ كيانه وتحصين نسيجها الاجتماعي، لو أننا أحسننا التعاطي معه وأولينا الأهمية اللازمة لذلك.

دعونا نفكر فيما كان يمكن أن يحصل في بلد كالعراق لو لم يبادر العلماء بالدعوة إلى الوحدة، ولو لم تشهد المساجد هذه الحشود الهائلة من المصلين الذين حضروا إلى المساجد لا ليؤدوا الصلاة فقط، وإنما ليأخذوا التوجيه والإرشاد من المسجد ليتصرفوا على أساس ذلك، وكان التوجيه والإرشاد على مستوى الحدث وعباً وإدراكاً للمخاطر. إن في هذه الأمة ثروات عظيمة ومكان قوة هائلة يجب علينا أن نستفيد منها في صياغة حياتنا ومستقبلنا، والمسجد هو أحد أهم ثروات هذه الأمة ومكان قوتها.

✚ دور إمام المسجد في الدعوة إلى الله

- ١- إلقاء الإمام لبعض الكلمات أحياناً فيما يتعلق بأحداث الساعة الهامة، وما يراه من ملحوظات على المصلين، تربية الناس على الإخلاص في القول والعمل وعدم رؤيته - أي العمل - أو حتى

(٩) سورة البقرة آية: ١١٤.

طلب العوض عنه بمدح أو غيره فالله وحده هو المكافئ، وهذا لا يمنع من أن ينسب الفضل لأهله... لكن لا يكون على هيئة تكريم على الملائم فالله هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، حقيقة "ما أجمل التعامل مع الله".

٢- إقامة مكتبة خيرية في المسجد، أو مكتبة للقراءة والاطلاع.

٣- توجيه بعض البرامج المذكورة إلى النساء، مثل المحاضرات والكلمات وحلقات التحفيظ والمسابقات ونحوها، بالتعاون مع دور الذكر في الحي.

٤- إيجاد دوريات لتساء الحي تكون ذات مردود دعوي إيجابي، وتكون في إحدى دور الذكر أو بعض المدارس، وتشجيع نساء الحي بالالتحاق بدور التحفيظ وحثهن على ذلك.. أفضل من وضع دوريات لأننا بالتجربة لاحظنا أن الدوريات ربما أخذت طابعا مغايرا عما وضع ورسم لها.

٥- إقامة حلقة تحفيظ قرآن وما يتبعها من رحلات تربوية هادفة، سواء في داخل البلد أو خارجه مثل رحلة عمرة أو حج.

٦- دعوة بعض الدعاة لإلقاء الكلمات من حين لآخر في المسجد والتأكيد على المواضيع التي تهتم المسلم.

٧- إعداد مسابقة لأهل الحي لكل شهر أو شهرين وجوائزها.

٨- التعاون مع النشطين في الحي، وذلك بتوزيع الكتب والأشرطة ومتابعة المتهاونين في الصلاة وزيارتهم وكذلك باقي المنكرات.

٩- التعاون مع أئمة المساجد المجاورة والتنسيق معهم في صالح الدعوة، بحيث يكون للإمام اجتماع مع مجموعة من الأئمة في الأحياء المجاورة والتنسيق معهم في طريق إيصال الخير إلى الجميع وتحذيرهم من أسباب الفساد والعقوبة.

١٠- الاهتمام بالملصقات الدعوية التي تعلق في المسجد وإعلانات المحاضرات.

١١- القراءة عليهم بعد العصر حسب المصلحة والقراءة عليهم بعد أذان العشاء حتى وقت الإقامة، في كل أسبوع يوم محدد؛ وذلك لنشر العلم الذي يسهم إسهاماً إيجابياً في صلاح المجتمع (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ). مرة في تفسير آيات ومرة قراءة فتاوى.

١٢- الاهتمام بالرحلات الدعوية وكذلك رحلة الحج والعمرة باختيار مجموعة مناسبة ومن يذهب معهم.

١٣- الاهتمام بالمواسم الدعوية مثل رمضان - الحج، بل أيام المحن والنكبات لإخواننا المسلمين ودعمهم مادياً ومعنوياً.

١٤- الاهتمام بالجاليات سواء العمالة وكذلك الخادمت وتوزيع الكتب والأشرطة عليهم وربطهم بمكتب الجاليات في الحي، ووضع مسابقات لهم، والإجابة على فتاويهم وأسئلتهم وحسن الخلق معهم وحث أهل الحي على ذلك.

🚩 البرامج الدعوية في المسجد

ينبغي أن نهتم بالمساجد وما يطرح فيها من أنشطة تربوية ودعوية، لنعمرها بطاعة الله تعالى، فإننا الصلاة من العبادات المباركة فيها، ولكن يمكن أن يكون للمسجد أكبر من هذا الدور - على أهميته - وهذه بعض الأفكار والاقتراحات التي أتمنى أن يُعمل بها ليستفيد الناس منها :

١- الاهتمام من الإمام بالخطبة الأسبوعية في يوم الجمعة، فهي في غاية الأهمية في إيصال صوت الحق إلى الخلق.

٢- إيجاد حلقات تحفيظ قوية بالمسجد للطلاب على كافة مستوياتهم ومراحلهم، ومد يد العطاء لهذه الخلق، فهي من أنفع ما يتربى به الشباب ويتهدب به الطلاب.

٣- استقطاب المشايخ وطلاب العلم لإلقاء الكلمات الوعظية في المسجد، وذلك بإسناد مهمة التنسيق لهذه الكلمات لأحد النشطاء في المسجد، مع دعمه بأسماء وأرقام المشايخ للتنسيق معهم، وحبذا لو جعل يوم في الأسبوع لمثل هذا النشاط، يتعارف عليه أهل الحي ليلزموه .

٣- إقامة أكثر من درس أسبوعي في المسجد، في العقيدة، والسيرة، والفقه، والسلوك والآداب، بحيث يتم تنسيق أكثر من درس في الأسبوع، وتُسند مهمة متابعة الدرس وإيجاد البديل لأحد الأخوة في المسجد حتى لا ينقطع الدرس، فيحرم الناس الخير .

٤- تعليق لوحة إعلانات في آخر المسجد، توزع بطريقة مناسبة، لإعلان المحاضرات والدورات والأنشطة الدعوية في المدينة .

- ٥- تعليق لوحة تبرز أنشطة المسجد، وما يحتاجه من دعم ومشاركة من أهل الحي .
- ٦- تعليق حامل عند باب الخروج من المسجد يكتب عليه [خذ نسختك] ويزود بالمطويات والنشرات الدورية في كل أسبوع، ويشرف عليه أحد الإخوة، ويدعم بالمال إن أمكن .
- ٧- وضع صندوق للأسئلة والفتاوى في مكان بارز بالمسجد، ويرغب الناس في وضع أسئلتهم فيه، ثم يحدد يوم في الأسبوع للإجابة على الأسئلة من أحد المشايخ المعتمدين، أو من إمام المسجد إن كان أهل لذلك، أو يقرأ عليهم من فتاوى العلماء ما يناسب الأسئلة، كفتاوى اللجنة الدائمة أو فتاوى ابن باز أو ابن عثيمين أو ابن جبرين أو غيرهم من أهل العلم المعتمدين، رحمة الله على الجميع .
- ٨- إنشاء صندوق خيري بالمسجد يقوم عليه مجموعة من الصلحاء، ينفعون الأغنياء كم ينفعون الفقراء، فيدلون هذا على ذلك، ويعدون برنامج متكامل في هذا الشأن .
- ٩- توزيع المطويات على الناس متزامنة مع الأحداث والوقائع، لينتفع بها الناس، فهي إشارات في كلمات تناسب الواقع والحدث [الحج، بداية السنة، رمضان، ليلة القدر، نهاية السنة، عاشوراء، الاختبارات، بدع المولد، وبدع ليلة عاشوراء.... وغير ذلك مما يناسب الزمان والأحوال] .
- ١٠- توزيع الكتب والأشرطة عليهم بصفة دورية، ويقوم عليها الثقات، ويدعمون بالاشتراكات الدورية ليستمر العمل .
- ١١- إعداد مسابقات ثقافية مكتوبة، توزع لأهل الحي تناقش المنكرات فيه مثلاً، ويجدد زمانها، وشروطها، ويعد حفل لتوزيع الجوائز والحوافز للمشاركين فيها، وهي وسيلة دعوية لغزو البيوت وإيصال الخير إليها، وخصوصاً إذا كانت المسابقة على كتاب تحسن قراءته أو شريط يحسن الاستماع إليه، مع توفيره لهم .
- ١٢- القيام ببعض المعارض المناسبة في ملاحق المسجد، وفتحها للناس مع الدعوة إليها والدعاية لها، ويمكن التنويع فيها بما يناسب الناس .
- ١٣- تعليق حامل للكتيبات، توضع فيه الكتيبات المناسبة باستمرار، ويكتب عليها :

للاستعارة فقط .

١٤- إيجاد مكتبة للمسجد، تحفل بها يمكن جمعه من أمهات الكتب والمراجع، ويمكن تحريكها عن طريق طلاب التحفيظ، والمسابقات الثقافية الدورية لأهل المسجد، وجمع الناس فيها أكثر من مرة، ليألفوا دخولها والاستفادة منها .

١٥- بناء مغسلة موتى ملحقة بالمسجد مع تزويدها بكل مستلزمات الغسيل والتكفين، مع توفير مغسل ومغسلة للموتى إن أمكن، وحبذا لو كان الإمام أو المؤذن ليسهل الوصول إليه والاستفادة منه .

١٦- إنشاء مستودع خيري مناسب تجمع فيه الصدقات العينية والتبرعات الشهرية وما يمكن الاستفادة منه من ملبوسات وفرش وأثاث، لتوزيعها على أهل الحاجة في أماكن تواجدهم، ويشرف عليه مجموعة مأمونة من أهل المسجد بإشراف إمامه .

١٧- التنسيق لإقامة محاضرة في كل شهر لأهل الحي بالتنسيق مع أحد المشايخ والإعلان عنها .

١٨- التنسيق مع أحد المفتين للاستضافة في المسجد أو عبر الهاتف للإجابة على أسئلة الناس وتحديد الزمان لها .

١٩- إنشاء موقع للمسجد عبر الشبكة العنكبوتية، وينشر بين أهل الحي للاستفادة منه، ويقوم عليه الأخيار ومن لديه قدرة على المشاركة الفاعلة فيه .

٢٠- الإفطار الجماعي في رمضان أو الأيام الفاضلة والمستحب صيامها كعاشوراء أو يوم عرفة لغير حاج أو في أيام العيدين، مع إعداد برنامج مرافق لهذا النشاط يناسب الأحوال والمناسبات .

٢١- إنشاء تحفيظ نسائي بالمسجد (دار الحافظات) يتم من خلاله إقامة مجموعة من الأنشطة

التربوية للنساء كالمحاضرات والدورات العلمية والمهارية وغير ذلك مما فيه مصلحة للنساء .

٢٢- تكوين لجنة للزيارات، مهمتها الأساسية زيارة من يتخلفون عن الصلوات لدعوتهم إليها بالأسلوب الحسن والطريق الأمثل، وكذلك زيارة رواد المساجد حين مرضهم أو حصول ما يكره لهم أو لذويهم، وغير ذلك مما حث الشارع عليه ورغب فيه .

٢٣- تكوين جماعة من أهل المسجد للإصلاح بين أهله حين وقوع الخصومة بينهم من أهل الرأي والحكمة والمشورة، وأهم مهماتها الإصلاح بين الناس ودفع غوائل الشر والخصومة والقطيعة والجفوة بينهم .

٢٤- تكوين مجموعة أخرى من أهل العلم والحكمة والروية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحي، فهم يجوبون الحي ليتعرفوا على منكراته، ثم يُعدون الأنشطة المناسبة لكل منكر بما يلزم لتغييره، فيأخذوا على يد السفية، ويأطروه على الحق أطراً، ويمكن أن يستفيدوا من القنوات الرسمية في ذلك إذالزم الأمر .

* والمهم في تنشيط دور المسجد أن تكون جماعة للنشاط مهمتها الأساسية دعوة أهل الحي إلى الخير والتجديد في ذلك بما يوافق الشرع، فإذا وجد من يحمل الهم ويتحمل المسؤولية، جاء الخير، وأقبل المعروف، وشع النور، والله عليم بما في الصدور.

🇲🇸 حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة في مسجده صلى الله عليه وسلم.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما: من حديث أنس بن مالك أن أعرابياً دخل المسجد ثم جعل يبول، فأخذت الصحابة الغيرة، فنهوه وصاحوا به، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، قال: لا ترموه (أي لا تقطعوا عليه بوله)، فلما قضى الأعرابي بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصب عليه (أي على البول) ذنوباً من ماء (أي دلوا من ماء)، ثم دعا الأعرابي وقال له: إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى (أو من القذر) وإنما هي للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله عز وجل أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الإمام أحمد رحمه الله أن هذا الأعرابي قال: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً).

ونأخذ من هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الأعرابي بشأن هذه المساجد وأنها إنما بنيت للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله، أو كما قال صلى الله عليه وسلم: لا يصلح فيها شيء من الأذى والقذر .

إذن فشأن المساجد: أن تعظم وأن تنظف وأن تطهر وألا يعمل فيها إلا ما يرضي الله تعالى، من الصلاة وقراءة القرآن وذكر الله عز وجل ونحو ذلك. ومن فوائد هذه القصة أيضاً أن الإنسان إذا دعا غيره بالحكمة واللطف واللين حصل من المطلوب ما هو أكبر مما لو أراد معالجة الشيء بالعنف، وقد اقتنع هذا الأعرابي اقتناعاً تاماً بما علّمه النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه قال هذه الكلمة المشهورة (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً).

✚ المنبر والدعوة

المنبر جزء من المسجد وله دور بارز مخصوص، من ذلك أو أهم شيء في المنابر الخطبة وأعظم هذه الخطب هي خطبة الجمعة لأنها هي الدائمة المستمرة، وحتى ندرك الفضيلة والأهمية نلاحظ كثير من الجوانب في هذا فمن ذلك.

إقتداء بأعظم خطيب

وانظر كذلك إلى أمر عظيم وهو أن الخطبة فيها إقتداء بالنبي - عليه الصلاة والسلام - فهو أول وأعظم خطيب فالخطيب الذي يخطب إنما يقوم في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لطيف ما ذكره الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته إنه كان يخطب الجمعة ثم قال في أثناء خطبته: " إن قدميه هاتين فوق أعظم رأس في الدنيا لأنني أقف في مقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أو كلام نحو ذلك .

من قال : أنصت فقد لغى

ثم انظر إلى الاحتياط والتشريع الحكيم الذي جاء ليجعل للمنبر للقول فيه أهمية عظمى، وذلك بوجوب الإنصات للخطيب، حتى كما نعلم قول النبي عليه الصلاة والسلام: (من مس الحصى فقد لغى)

وكما قال صلى الله عليه وسلم: (من قال لصاحبه أنصت والإمام يخطب فقد لغى)

لا بد أن يكون الجميع مستحضرين لقلوبهم منصتين بأذانهم متفكرين بعقولهم شاخصين بأبصارهم حاضرين قلباً وقالياً؛ ليسمعوا كلام الله ليسمعوا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظم هذا المنبر الذي يأتيه الناس طوعاً لا كرهاً! يأتونه حُبّاً لا بغضاً يأتون وهم يعلمون أنهم في ذلك يؤجرون، ثم يبالغون في الإنصات فلا تجد معرضاً وليس لأحد أن يقطع الخطبة ثم يخرج من دون عذر، كل ذلك

ليعطينا الإسلام أهمية المنبر وهذه الخطب التي تقال فيه .

التطيب للسمع

ثم من ذلك أيضا ما ورد في التطهر والتطيب والتنظف للجمعة إنها مسألة فريدة وهو أنه إعداد وتهيئة فريدة من نوعها، تكبير وقبل ذلك تنظيف وتطهير ثم إصغاء وإنصات، وفوق ذلك عبادة وفضيلة وأجر .

أساس للصلوات الجامعة

ثم أيضا من أهمية الخطبة أنه الأساس في العبادات التي جاءت في مناسبات، نحن نعلم أن هناك صلاة في العيدين، ونعلم أن هناك صلاة مسنونة للاستسقاء، وكذلك عند الخسوف والكسوف وكلها فيها خطب، لماذا؟ لأن هذه مواسم التذكير والخطب، والمنابر هي أماكنها .

الدوام المطلق

ومن الأهمية والفائدة والدوام والاستمرار في خطبة الجمعة على وجه الخصوص، فليس هناك توقف ولا تأجيل، قد يكون هناك محاضرة أو درس ثم يؤجل، لكن ليس هناك جمعة تؤجل مطلقاً ومن لطيف ما ذكر ابن عبد البر في كتابه [بهجة المجالس] عقد فصل في اللطائف وفي أخبار الحمقى فقال من ذلك : أن أحد الناس كان متوجهاً إلى المسجد يوم الجمعة فلقه أحد الحمقى، فقال : إلى أين؟ قال : إلى المسجد، قال : وماذا تفعل؟ قال : أشهد الجمعة، قال : أو ما علمت الخبر؟! قال : ماذا؟ قال : أجلوها إلى البيت قال : لو كنت أذنت لي من قبل فكان هو أحق مثله .

المهم أن الدوام والاستمرار يجعل أمر الجمعة عظيماً ومنبرها خطيراً؛ لأنها توجه إلى كل فرد مسلم في كل العالم في شرق الأرض وغربها، أليس الناس يشكون اليوم من التفرق ومن اختلاف الآراء والتصورات ومن تباين الأفكار والميول؟ .

إن الجمعة ومنبرها في هذا التشريع الإسلامي عندنا - على سبيل المثال كما يقولون - اليوم مليار ومائتي مليون مسلم، ما الذي يمكن أن تقول لهؤلاء الناس؟ كيف توجههم؟ أين تجمعهم؟ كيف تدعوهم إلى ما يصلحهم في شؤون دينهم ودنياهم؟ شرع الله - عز وجل - يجعل هؤلاء جميعاً - إلا من كان له عذر - في مكان واحد كلهم في كل أسبوع بأمر الله - عز وجل - يأتون إلى المساجد ليستمعوا إلى الذكر

ويتعلموا ويأخذوا التوجيهات والتعليقات، فهو منبر خطير، أخشى ما يخشاه أعداء الإسلام هو هذا المنبر وأكثر ما يخططون له هو أن يخرج عن رسالته، ويخرج عن مقصده، وأن يفرغ من محتواه؛ لأننا لو تصورنا أن هذا المنبر أدى دوره ورسالته، وقام فيه المؤهل الذي يجبي القلوب وينبه الغافلين ويوجه ويصحح ويقوم .

فلا شك أن هناك تغيراً كبيراً وتأثراً عظيماً يعتري قلوب الناس ويظهر في سلوكهم ويوجه تصوراتهم، وهذا لا شك أنه كالمسار والتيار الذي يمكن توجيهه إلى ما ينفع الأمة، وهذا لا شك أنه أمر عظيم .
المسجد والرسالة.